أخلاق المسلمين

الأمانة (١)

عباد الله، إن الله تعالى حدد حدودًا وشرع تشريعًا، فمن اهتدى؛ فإنما يهتدي لنفسه، ومن ضل؛ فإنما يضل عليها، وكما نعلم عباد الله أن الشرع الحنيف جاء لمصلحة الناس وللمحافظة على الكليات أو الضروريات الخمس (حفظ الدين، وحفظ النفس، وحفظ النسل، وحفظ العقل، وحفظ المال).

ومعنا اليوم صفة أخرى إذا حسنت؛ كانت جماع لهذه الكليات، وإذا فسدت؛ كانت آفة لهذه الكليات، صفة الأمانة، والأمانة ضد الخيانة، قال الراغب: **"والأَمْنُ، والأَمَانَةُ، والأَمَانُ في الأصل مصادر، ويجعل الأمان تارة اسما للحالة التي يكون عليها الإنسان في الأمن، وتارة اسما لما يؤمن عليه الإنسان"**[١]، إذن عباد الله الأمانة من الأمن والأمان.

يقول القرطبي رحمه الله: **"وَالْأَمَانَةُ تَعُمُّ جَمِيعَ وَظَائِفِ الدِّينِ"**[٢]، وعلى ذلك عباد الله أمانة، والعينُ أمانة، واللسان أمانةُ والبطن أمانة، والرِّجْل أمانة، ولذلك ورد ذكر الأمانة في القرآن بصيغة الجمع: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [المعارج: ٣٢]، ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾ [النساء: ٥٨].

والأمانات كما قلنا تعم جميع وظائف الدين، فالأمانة في حقوق الله هي: العبادات، وفي حقوق البشر: أمانة السر، والأمانة بين الرجل وامرأته، إلى غير ذلك.

يقول تعالى عن صفة فلاح المؤمنين: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴾ [المعارج:٣٢].

---

[١] المفردات في غريب القرآن (٩٠/١)، للراغب الأصفهاني رحمه الله.

[٢] تفسير القرطبي رحمه الله (٢٥٣/١٤).

ويقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٧].

فنادى الله الناس بنداء الإيمان لينهاهم عن الخيانة، إذا أن الأمانة من أخلاق المؤمنين، والخيانة من أخلاق المنافقين.

يقول تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ٧٢ ﴾ [الأحزاب: ٧٢].

يقول القرطبي رحمه الله: **"قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِآدَمَ: يَا آدَمُ، إِنِّي عَرَضْتُ الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَلَمْ تُطِقْهَا، فَهَلْ أَنْتَ حَامِلُهَا بِمَا فِيهَا؟ فَقَالَ: وَمَا فِيهَا يَا رَبِّ؟ قَالَ: إِنْ حَمَلْتَهَا؛ أُجِرْتَ، وَإِنْ ضَيَّعْتَهَا؛ عُذِّبْتَ، فَاحْتَمَلَهَا بِمَا فِيهَا فَلَمْ يَلْبَثْ فِي الْجَنَّةِ إِلَّا قَدْرَ مَا بَيْنَ صَلَاةِ الْأُولَى إِلَى الْعَصْرِ حَتَّى أَخْرَجَهُ الشَّيْطَانُ مِنْهَا"**[1].

وعن الحسن: **"أَنَّ الْأَمَانَةَ عُرِضَتْ عَلَى السَّمَاوَاتِ، وَالْأَرْضِ، وَالْجِبَالِ، قَالَتْ: وَمَا فِيهَا؟ قِيلَ لَهَا: إِنْ أَحْسَنْتِ؛ جُوزِيتِ، وَإِنْ أَسَأْتِ؛ عُوقِبْتِ، فَقَالَتْ: لَا"**[2].

وقد يتبادر سؤال كيف أبت السماوات والأرض والجبال؟ وهل كان هذا الإباء كإباء إبليس، وقد أجاب الإمام فخر الدين الرازي بقوله: **"لَمْ يَكُنْ إِبَاؤُهُنَّ كَإِبَاءِ إِبْلِيسَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾** [الحجر: ٣١] **مِنْ وَجْهَيْنِ:**

أَحَدُهُمَا: أَنَّ هُنَاكَ السُّجُودَ كَانَ فرضا، وها هنا الْأَمَانَةُ كَانَتْ عَرْضًا،

وَثَانِيهِمَا: أَنَّ الْإِبَاءَ كَانَ هناك استكبارا، وها هنا اسْتِصْغَارًا، اسْتَصْغَرْنَ أَنْفُسَهُنَّ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ: ﴿ وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا ﴾ [الأحزاب: ٧٢]**، وَكَيْفَ حَمَلَهَا الْإِنْسَانُ وَلَمْ تَحْمِلْهَا هَذِهِ الْأَشْيَاءُ؟**

---

[1] تفسير القرطبي رحمه الله (١٤/٢٥٣ – ٢٥٤).

[2] تفسير القرطبي رحمه الله (١٤/٢٥٤).

فِيهِ جَوَابَانِ:

أَحَدُهُمَا: بِسَبَبِ جَهْلِهِ بِمَا فِيهَا وَعِلْمِهِنَّ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧٢].

وَالثَّانِي: أَنَّ الْأَشْيَاءَ نَظَرَتْ إِلَى أَنْفُسِهِنَّ فَرَأَيْنَ ضَعْفَهُنَّ فَامْتَنَعْنَ، وَالْإِنْسَانُ نَظَرَ إِلَى جَانِبِ الْمُكَلِّفِ، وَقَالَ: الْمُودِعُ عَالِمٌ قَادِرٌ لَا يَعْرِضُ الْأَمَانَةَ إِلَّا عَلَى أَهْلِهَا، وَإِذَا أَوْدَعَ؛ لَا يَتْرُكُهَا، بَلْ يَحْفَظُهَا بِعَيْنِهِ وَعَوْنِهِ، فَقَبِلَهَا، وَقَالَ: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾"[1].

عباد الله إن الأمانة وضعها الله ﷻ فطرة في قلوب الناس؛ أي أن الإنسان أمين بطبعه، فعن حذيفة ابن اليمان ﷺ قال حدثنا رسول الله ﷺ: **"أَنَّ الْأَمَانَةَ نَزَلَتْ مِنَ السَّمَاءِ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ، وَنَزَلَ الْقُرْآنُ، فَقَرَءُوا الْقُرْآنَ وَعَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ"**[2]، معنى ذلك أن الله أنزل الأمانة في أصل قلوب الرجال، ثم جاء القرآن والسنة فثبتوا الأمانة في القلوب.

فالأمانة عباد الله في قلوبنا، ولكن تضيع مع التفريط والتهاون.

فهيا بنا عباد الله نتكلم عن أنواع الأمانات، فليست الأمانة فقط في مال أودعه رجل عند آخر، ولكن لها أنواع نذكر ما تيسر بإذن الله:

أولًا: الأمانة مع الله ورسوله ﷺ:

تكون الأمانة مع الله بفعل المأمورات وترك المنهيات، تكون أمينًا مع مولاك إذا ما أديت الشرائع والشعائر كما أمرك، يقول تعالى: **﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾** [الأنعام: ١٦٢]، فالأمانة عباد الله في الوضوء، والصلاة، والزكاة، والصيام، حتى في غسل الجنابة، فعن أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"خَمْسٌ مَنْ جَاءَ بِهِنَّ مَعَ**

---

[1] تفسير الرازي رحمه الله (٢٥/١٨٧-١٨٨).

[2] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٧٢٧٦)، ورواه مسلم رحمه الله في صحيحه (١٤٣).

إِيمَانٍ دَخَلَ الْجَنَّةَ: مَنْ حَافَظَ عَلَى الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ؛ عَلَى وُضُوئِهِنَّ، وَرُكُوعِهِنَّ، وَسُجُودِهِنَّ، وَمَوَاقِيتِهِنَّ، وَصَامَ رَمَضَانَ، وَحَجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا، وَأَعْطَى الزَّكَاةَ طَيِّبَةً بِهَا نَفْسُهُ، وَأَدَّى الْأَمَانَةَ، قَالُوا: يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ، وَمَا أَدَاءُ الْأَمَانَةِ؟ قَالَ: الْغُسْلُ مِنَ الْجَنَابَةِ"[1].

والأمانة مع رسول الله ﷺ أن تتبع سنته، وتدافع عنها وعنه، وأن لا تكذب عليه، فقد قال رسول الله ﷺ: **"مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا؛ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ"**[2].

ثانيًا: الأمانة مع الناس:

١. أمانة الأموال: وهي الودائع، ويكون أداؤها بحفظها، ورعايتها، وتأديتها لأصحابها تامة، ولذلك نرى رسولنا ﷺ لما هاجر إلى المدينة ترك عليًا ينام في فراشه ليؤدي أمانات الكافرين الذين أخرجوه من بلده.

يقول ميمون بن مهران رحمه الله: **"ثَلَاثٌ تُؤَدَّى إِلَى الْبَرِّ وَالْفَاجِرِ: الرَّحِمُ تَصِلُهَا بَرَّةً كَانَتْ أَوْ فَاجِرَةً، وَالْعَهْدُ تَفِي بِهِ لِلْبَرِّ وَالْفَاجِرِ، وَالْأَمَانَةُ تُؤَدِّيهَا إِلَى الْبَرِّ وَالْفَاجِرِ"**[3].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **"مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا؛ أَدَّى اللَّهُ عَنْهُ، وَمَنْ أَخَذَ يُرِيدُ إِتْلَافَهَا؛ أَتْلَفَهُ اللَّهُ"**[4].

وانظر إلى رفعة الشرع عندما يقول ﷺ: **"أَدِّ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنِ ائْتَمَنَكَ، وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ"**[5].

---

[1] أخرجه أبو داود رحمه الله في سننه (٤٢٩)، وحسنه الألباني رحمه الله في صحيح أبي داود (٤٢٩).

[2] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (١١٠)، ورواه مسلم رحمه الله في صحيحه (٣).

[3] اعتلال القلوب (١٨٨/١)، للخرائطي رحمه الله.

[4] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٢٣٨٧).

[5] أخرجه أبو داود رحمه الله في سننه (٣٥٣٤)، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح أبي داود (٣٥٣٤).

٢. أمانة الأعراض: فتحافظ على عرض إخوانك، فلا تغتبهم، ولا تمش بينهم بالنميمة ولا تتكلم عن أعراضهم بالقذف، يقول تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾ [النور: ٢٣]،

٣. أمانة الأسرار: فلو حدثك شخص بحديث بينك وبينه؛ فهذا أمانة، فقد قال ﷺ: **"إِذَا حَدَّثَ الرَّجُلُ بِالْحَدِيثِ ثُمَّ الْتَفَتَ؛ فَهِيَ أَمَانَةٌ"**[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **"آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ؛ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ؛ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ؛ خَانَ"**[٢].

وهذا من النفاق العملي خشية أن يؤدي إلى النفاق الاعتقادي.

وها هي أم سليم رضي الله عنها تعلمنا كيف نحافظ على السر، عن ثابت عن أنس رضي الله عنه قال: **"أَتَى عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا أَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ، قَالَ: فَسَلَّمَ عَلَيْنَا فَبَعَثَنِي إِلَى حَاجَةٍ، فَأَبْطَأْتُ عَلَى أُمِّي، فَلَمَّا جِئْتُ، قَالَتْ: مَا حَبَسَكَ؟ قُلْتُ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِحَاجَةٍ، قَالَتْ: مَا حَاجَتُهُ؟ قُلْتُ: إِنَّهَا سِرٌّ، قَالَتْ: لَا تُحَدِّثَنَّ بِسِرِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَحَدًا، قَالَ أَنَسٌ: وَاللَّهِ لَوْ حَدَّثْتُ بِهِ أَحَدًا؛ لَحَدَّثْتُكَ يَا ثَابِتُ"**[٣]، ومات أنس، ومات ثابت، وماتت أم سليم، ومات الرسول ﷺ، ومات الراوي، وبقي سر رسول الله ﷺ مصونا.

٤. وأعظم هذه الأسرار ما يحدث بين الرجل وأهله في بيتهما:

فقد جعل الإسلام للحياة الزوجية قداستها، فجعل إفشاء سر الزواج خيانة، فعن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها أنها كانت عند رسول الله ﷺ، والنساء والرجال قعود عنده، فقال: **"لَعَلَّ**

---

[١] أخرجه أبو داود رحمه الله في سننه (٤٨٦٨)، وحسنه الألباني رحمه الله في صحيح أبي داود (٤٨٦٨).

[٢] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٣٣)، ورواه مسلم رحمه الله في صحيحه (٥٩).

[٣] رواه مسلم رحمه الله في صحيحه (٢٤٨٢).

رَجُلًا يَقُولُ مَا يَفْعَلُ بِأَهْلِهِ، وَلَعَلَّ امْرَأَةً تُخْبِرُ بِمَا فَعَلَتْ مَعَ زَوْجِهَا، فَأَرَمَّ الْقَوْمُ، فَقُلْتُ: إِي وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهُنَّ لَيَقُلْنَ، وَإِنَّهُمْ لَيَفْعَلُونَ، قَالَ: فَلَا تَفْعَلُوا، فَإِنَّمَا ذَلِكَ مِثْلُ الشَّيْطَانِ لَقِيَ شَيْطَانَةً فِي طَرِيقٍ فَغَشِيَهَا وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ"[1].

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"إِنَّ مِنْ أَشَرِّ النَّاسِ، عَنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ الرَّجُلَ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ وَتُفْضِي إِلَيْهِ، ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا"**[2]، هذا من ضعف الدين، والنخوة، والخلق، فيتكلم بهذا الكلام أمام صديقه الذي يسمع، وقد يكون يعرفها فيتخيل منظرها على هذه الحالة، وزوجها يحكي ولا يبالي.

وانظروا عباد الله، فالأمانة تحتم علينا أن لا نصف أزواجنا، فإذا ببعضنا يدعهن يخرجن متبرجات عيانًا بيانًا أمام الرجال.

عباد الله إن الأمانة أمانات والديان سبحانه وتعالى يحاسبنا

﴿ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَا ﴾

[يونس: ١٠٨].

[1] أخرجه أحمد رحمه الله في مسنده (٢٧٥٨٣)، وقال الألباني رحمه الله في آداب الزفاف (٧١): صحيح أو حسن على الأقل بشواهده.

[2] رواه مسلم رحمه الله في صحيحه (١٤٣٧).